@ 445 @ على أنه من عند ا ، الأخبار بالكذب البحت عن مدة إقامتهم في النار . وقد تقدم أن المس هو الإصابة ، أي لن تصيبنا النار إلا أياماً ، استثناء مفرّغ ، أي لن تمسنا النار أبداً إلا أياماً معدودة ، وقد تقدم ذكر العدد في الأيام بأنها سبعة أو أربعون . وقيل : أراد بقوله : معدودة ، أي قلائل يحصرها العدّ ، لأنها معينة العد في نفسه . . ثم أخذ في رد هذه الدعوى والأخبار الكاذبة فقال : { قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا } أي مثل هذا الإخبار الجزم لا يكون إلا ممن اتخذ عند ا عهداً بذلك ، وأنتم لم تتخذوا به عهداً ، فهو كذب وافتراء . وأمر نبيه صلى ا عليه وسلم ) بأن يرد عليهم بهذا الاستفهام الذي بدل على إنكار ما قالوه . وهمزة الوصل من اتخذ ، انحذفت لأجل همزة الاستفهام ، ومن سهل بنقل حركتها على اللام وحذفها قال : قل اتخذتم ، بفتح اللام ، لأن الهمزة كانت مفتوحة . وعند ا : ظرف منصوب باتخذتم ، وهي هنا تتعدى لواحد ، ويحتمل أن تتعدى إلى اثنين ، فيكون الثاني الظرف ، فيتعلق بمحذوف ، والعهد هنا : بالميثاق والموعد ، وقال ابن عباس معناه : هل قلتم لا إلاه إلا ا ، وآمنتم وأطعتم فتدلون بذلك وتعلمون خروجكم من النار ؟ فعلى التأويل الأول المعنى : هل عاهدكم ا على هذا الذي تدعون ؟ وعلى الثاني : هل أسلفتم عند ا أعمالاً توجب ما تدعون ؟ . . { فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } : هذه الجملة جواب الاستفهام الذي ضمن معنى الشرط ، كقولك : أيقصدنا زيد ؟ فلن نجيب من برنا . وقد تقدم الخلاف في جواب هذه الأشياء ، هل ذلك بطريق التضمين أي يضمن الاستفهام والتمني والأمر والنهي إلى سائر باقيها معنى الشرط ؟ أم يكون الشرط محذوفاً بعدها ؟ ولذلك قال الزمخشري : فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره : إن اتخذتم عنده عهداً فلن يخلف ا عهده ، كأنه اختار القول الثاني من أن الشرط مقدر بعد هذه الأشياء . وقال ابن عطية : { فَلَنْ * يَخْلُقُ اللَّهُ * عَهْدَهُ } ، اعتراض في أثناء الكلام ، كأنه يريد أن قوله : { أَمْ تَقُولُونَ } معادل لقوله : { قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا } ، فصارت هذه الجملة ، بين هاتين اللتين وقع بينهما التعادل ، جملة اعتراضية ، فلا يكون لها موضع من الإعراب ، وكأنه يقول : أي هذين واقع ؟ أإتخاذكم العهد عند ا ؟ أم قولكم على ا ما لا تعلمون ؟ وأخرج ذلك مخرج المتردد في تعيينه على سبيل التقرير ، وإن كان قد علم وقوع أحدهما ، وهو قولهم : { عَلَى اللَّهِ مَا لاَ * يَعْلَمُونَ } ، ونظيره : { وَإِنَّا أَوْ * وَإِيَّاكُمْ * لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ }

. وقد علم أيهما على هدى وأيهما هو في ضلال . وقيل : أم هنا منقطعة فيتقدر ببل والهمزة ، كأنه قال : بل أتقولون على ا ما لا تعلمون ؟ وهو استفهام إنكار ، لأنه قد وقع منهم قولهم : على ا ما لا يعلمون ، فأنكروا عليهم صدور هذا منهم . وفي قوله : { فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ } دليل على أن ا لا يخلف وعده . واختلف في الوعيد ، فذهب الجمهور إلى أنه لا يخلفه ، كما لا يخلف وعده . وذهب قوم إلى جواز إخلاف إيعاده ، وقالوا : خلاف الوعد قبيحد وإخلاف الوعيد حسن ، وهي مسألة يبحث فيها في أصول الدين . .

{ بَلَى } : حرف جواب يثبت به ما بعد النفي ، فإذا قلت : ما قام زيد ، فقلت : نعم ، كان تصديقاً في نفي قيام زيد . وإذا قلت : بلى ، كان نقضاً لذلك النفي . فلما قالوا : { لَن تَمَسَّنَا النَّارُ } ، أجيبوا بقوله : بلى ، ومعناها : تمسكم النار . والمعنى على التأبيد ، وبين ذلك بالخلود . { مَن كَسَبَ سَيِّئَةً } من : يحتمل أن تكون شرطية ، ويحتمل أن تكون موصولة ، والمسوّغات لجواز دخول الفاء في الخبر ، إذا كان المبتدأ موصولاً ، موجودة هنا ، ويحسنه المجيء في قسيمة بالذين ، وهو موصول . والسيئة : الكفر والشرك ، قاله ابن عباس ومجاهد . وقيل : الموجبة للنار ، قاله السدي ، وعليه تفسير من فسر السيئة بالكبائر ، لأنها هي التي توجب النار ، أي يستحق فاعلها النار إن لم تغفر له . .

{ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ } : قرأ الجمهور بالإفراد ، ونافع : خطيئاته جمع سلامة ، وبعض القراء : خطاياه جمع تكسير ، والمعنى أنها أخذته من جميع نواحيه . ومعنى الإحاطة به أنه يوافي على الكفر والإشراك ، هذا إذا فسرت الخطيئة بالشرك . ومن فسرها بالكبيرة ، فمعنى